ادارة ريغـان الثـانية : مرحلـة ثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط

وحيد عبد المجيد

باحـث في مركـز الدراسـات السياسيـة والاستراتيجية في مؤسسة الاهرام بالقاهرة.

مقدمـة

في ٢٠ كانون الثاني/ يناير الماضي، تم تنصيب الرئيس الامريكي رونالد ريغان لفترة رئاسة ثانية تمتد حتى نهاية عام ١٩٨٨. ومنذ اعلان فوزه في انتخابات الرئاسة الامريكية التاسعة والخمسين، في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، وثمة تساؤل يتردد في كثير من الاوساط العربية عن التطورات المحتملة في موقف ادارة ريغان الثانية من الصراع العربي ـ الاسرائيلي، او بالاحرى تسوية هذا الصراع. وهو تساؤل اصبح «تقليدياً» يطرحه العرب عادة عقب كل انتخابات رئاسية في الولايات المتحدة منذ حرب ١٩٦٧، وبالذات بعد رواج اتجاهات الرهان على الدور الامريكي في التسوية في اعقاب حرب ١٩٧٣. ويتلخص هذا التساؤل فيما اذا كانت الادارة الجديدة استمراراً للادارة السابقة، ام تشهد انقطاعاً في بعض توجهاتها، وفيمَ سيكون هذا الانقطاع؟

وتدل خبرات التكامل مع اربع تجارب لانتخابات امريكية سابقة، منذ انتخابات ١٩٦٨، على نوع من المبالغة في الاحاسيس العربية ـ المتفائل ومنها والمتشائم ـ لما يحدث على المسرح السياسي الامريكي. ويبـدو ان هذه المبالغة تعود الى نوع من التصور العربي في ادراك وتفسير بعض الظواهر السياسية الامـريكيـة، والى عدم المعـرفـة الكاملة بطبيعة المجتمع الامريكي وبالقوى الاجتماعية السائدة فيه والمتصارعة داخله. كما تعود هذه المبالغة، من جانب آخر، الى عجز العرب عن توحيد طاقاتهم واستثمار مكامن قوتهم لادارة الصراع الضروري مع الادارات الامريكية المتتالية. وفي هذا الاطار ربما كان من الطبيعي ان تشيع بعض الاساطير، الخاصة بالدور الامريكي والتعامل معه، في غير قليل من الاوساط العربية السياسية والثقافية.

اولاً: مرحلتـان متميزتـان

ولكل ذلك يبدو من الصعوبة بمكان تصور الابعاد المحتملة لاتجاهات ادارة ريغان الثانية دون عودة سريعة الى تطور السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي. فاستقراء ابعاد التحرك

الشرق اوسطي لادارة ريغان الاولى يشير الى ظهور بدايات جنينية، او ربما اكثر من ذلك قليلاً، لمرحلة جديـدة ـ ثالثة ـ لتلك السياسة. فبدون الاستغراق في تفصيلات حوالى ٣٥ عاماً، يمكن التمييز بين مرحلتين رئيسيتين للسياسة الامريكية في المنطقة:

المـرحلة الاولى: وتشمل عقد الخمسينات الى قرابة نهايته. وتتلخص في السعي لوراثة النفوذ البريطاني ـ الفرنسي في المنطقة من خلال التعامل المباشر مع الطرفين العربي والاسرائيلي في اطار سياسة توازن ظاهرية بينهما تقوم على اظهار عدم الانحياز الكامل لاسرائيل. وقد تحكمت عدة عوامل، موضوعية وذاتية، في بلورة تلك المرحلة من السياسة الامريكية اهمها:

ـ مفهـوم الرئيس ترومان، ومن بعده الرئيس ايزنهاور، للحفاظ على تماسك المنطقة في مواجهة «التحدي السوفياتي»[١].

ـ طبيعة النظم العربية التقليدية والمحافظة، قبيل ظهور المد الثوري القومي العربي في المنطقة بعد قليل من قيام ثورة ١٩٥٢.

ـ لم تكن اسرائيل قد افصحت عن نفسها تماماً كأداة للامبريالية العالمية في المنطقة. بل وكان ترومـان نفسه يتشكك احياناً في توجهات حزب «ماباي»[٢] وشعاراته عن الملكية الجماعية (الكيبوتز) والملكية التعاونية (الموساف) في الزراعة.

ـ الاستعداد الامريكي، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لوراثة النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة عندما دخل مرحلة افوله[٣].

وكـانت حرب السويس ١٩٥٦ بمثابة المحطة التي تسلمت بعدها الولايات المتحدة زمام قيادة المعسكر الغربي الاستعماري من الدولتين، وانطلقت باندفاع لفرض هيمنتها على المنطقة. وكانت الخطة الامريكية في تلك المرحلة تقوم على احتواء الاقطار العربية في اطار حلف عسكري اطلقت عليه احياناً ميثاق الامن المتبادل واحياناً اخرى منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط. لكن هذه الخطة اصطدمت بنمو القومية العربية، التي اطلقتها حرب السويس بصفة خاصة من عقالها، لتصبح حركة سياسية ذات طابع ايديولوجي تسعى الى استقلال المنطقة العربية وتوحيدها، في اطار نهج يتراوح بين الراديكالية المقترنة بطموحات بعض البرجوازيات الوطنية العربية وبين البراغماتية الملازمة لافتقاد الوعي الكامل بطبيعة الصراع مع الامبريالية.

وكـان الصـدام حتميـاً بين القـومية العربية البازغة والامبريالية الامريكية الطامحة للانفراد بالسيطرة على المنطقة. وهذا ما عبر عنه بعض الكتّاب الامريكيين، بصياغات اخرى ومنهج آخر. فكتب أحدهم: «إن اهداف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط لا تشاركها فيها الدول العربية، بل وتتعارض مع مصالحها القومية الخاصة. فقد، اصطدم هدف احتواء التوسع السوفياتي بمصلحة بعض الحكومات العربية في ايجاد توازن بين الولايات المتحدة وبين ضمان المعونة العسكرية والاقتصادية من مصدر غير غربي. وكانت المصلحة الامريكية في الدفاع عن المنطقة، مع الضغط المصاحب لها كعقد احلاف دفاعية اقليمية يساندها الغرب واستخدام التسهيلات العسكرية، يصطدم بالروح

---

(١) انظر تفاصيل هذا المفهوم، في: وحيد عبد المجيد، **انتخابات الرئاسة الامريكية والصراع العربي ـ الاسرائيلي**، سلسلة مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، ٤٩ (القاهرة: المركز، ١٩٨١)، ص ٤٠ ـ ٤٨.

(٢) الحزب الرئيسي من الائتلاف الذي حكم الكيان الاسرائيلي عند اقامته عام ١٩٤٨.

(٣) Chester Wilmat, *The Struggle for Europe* (New York: Harper, 1963), pp. 211-216.

القومية واستقلال الدول العربية»[٤].

وكان هذا كفيلاً باحباط التصورات الامريكية عن امكانية اعادة رسم الخريطة الشرق اوسطية عن طريق التعامل المباشر مع النظم العربية دون استخدام «العصا» الاسرائيلية. وتكرس هذا الاحباط عندما قوبل مشروع ايزنهاور الشهير في كانون الثاني/ يناير ١٩٥٧ بالرفض العربي. وكان ذلك المشروع في ذاته نقطة تحول مهمة في السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة. فلأول مرة تحدد واشنطن اتجاهات سياستها في المنطقة على اساس وثيقة محض امريكية، بعد ان كانت مجرد شريك مع حلفائها في وثائق سابقة اهمها البيان الثلاثي (مع بريطانيا وفرنسا) عام ١٩٥٠[٥]. لكن الدلالة المهمة لمشروع ايزنهاور انه كان بداية الفترة الانتقالية الى المرحلة الثانية للسياسة الامريكية في المنطقة: مرحلة الخيار الاسرائيلي.

ففي قلب المشروع تكمن «نظرية الفراغ» التي تتلخص بأن ثمة صراعاً بين «العالم الحر والدول الشيوعية» في الشرق الاوسط، بما يعنيه ذلك من استبعاد هذا الوجود المستقل للحركة القومية العربية. فعندما ينتهي نفوذ بعض دول العالم الحر (بريطانيا وفرنسا) لا بد من تنشيط نفوذ دولة اخرى: الولايات المتحدة، اما كون المشروع يمثل بدء الفترة الانتقالية بين المرحلتين الامريكيتين فلأنه يحمل في ثناياه امكانية الاعتماد على قوة اخرى (اسرائيل) لمساعدة امريكا في ملء الفراغ اذا عجزت عنه بمفردها. وقد تأكد للامريكيين هذا العجز خلال تجربة الانزال المباشر للقوات الامريكية في لبنان في ١٥ تموز/ يوليو ١٩٥٨، لحماية نظام كميل شمعون والطائفية اللبنانية من موجة المد القومي العربي التي انتعشت مع وحدة ١٩٥٨[٦]. فهذا الانزال، الذي تلا الثورة العراقية التي خلطت اوراق المنطقة وقتها[٧] بعد الوحدة المصرية ـ السورية، كان ايذاناً بالاقتراب من المرحلة الثانية للسياسة الامريكية وهي اعتماد الخيار الاسرائيلي.

المرحلة الثانية: وقد تطلب التحول الكامل الى هذه المرحلة بضع سنوات لتعلق الامريكيين بآمال زائفة ناتجة، في الاساس، عن الازمة في العلاقات العربية ـ وبالذات المصرية ـ السوفياتية في نهاية الخمسينات. فمع بداية عهد الرئيس جون كينيدي في كانون الثاني/ يناير ١٩٦١، تصاعدت المحاولات الامريكية لعزل مصر عن الاتحاد السوفياتي باستئناف ارسال القمح بمقتضى القانون الفيدرالي رقم ٤٨٠. وافاض كينيدي، في رسائله الى عبدالناصر، في التشديد على رغبة الولايات المتحدة في فتح صفحة جديدة في العلاقات المصرية ـ الامريكية[٨]. وكانت تلك الصفحة تعني، من منظور المخابرات الامريكية التي دبرت اكثر من محاولة لاغتيال عبدالناصر، اشياء عديدة اهمها:

---

(٤) انظر: John S. Badeau, *The American Approach to the Arab World*, Policy Books of the Council on Foreign Relations (New York: Harper, 1968), pp. 137-138.

(٥) تعهدت الدول الثلاث في ذلك البيان بالحفاظ على السيادة الاقليمية لكل دول المنطقة وتنظيم امداد السلاح منعاً للتنافس فيما بينها.

(٦) Fahim Issa Qubain, *Crisis in Lebanon* (Washington, D.C.: Middle East Institute, 1961), pp. 45-47.

(٧) Malcolm Kerr, *The Arab Cold War, 1958-1964: A Study of Ideology in Politics*, Chatham House Essays, 10, 2nd edition (London; New York: Oxford University Press, 1968), pp. 19-25.

(٨) لمزيد من التفاصيل، انظر: Jacob Coleman Hurewitz, ed., *Soviet-American Rivalry in the Middle East* (New York: Columbia University, Acadamy of Political Science, 1969).

- خروج مصر من دائرة الصراع العربي - الاسرائيلي.
- تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي.
- الغاء التأميم وانهاء وجود القطاع العام[٩].

لكن هذا التحرك الامريكي اصطدم مرة اخرى بالمحتوى الاجتماعي الذي اكتسبته الحركة القومية العربية الناصرية. وبذلك لم يعد ثمة مفرّ امام الولايات المتحدة من الاعتماد على الخيار الاسرائيلي، بما يقتضيه من اظهار حقيقة الانحياز الصارخ لاسرائيل. وكان هذا ايذاناً ببدء العد التنازلي لحرب ١٩٦٧، التي وضعت الخيار الاسرائيلي موضع التطبيق لفرض العقاب العسكري على العرب الذين رفضوا قبول الهيمنة الامريكية، والتمهيد لإرغامهم على هذا القبول. والثابت ان معظم الكتابات التي تناولت حرب ١٩٦٧ اقرت - بدرجات متفاوتة وصياغات متباينة - حقيقة الضوء الاخضر الامريكي لاسرائيل لشن تلك الحرب[١٠].

وكانت هناك نقطتان جوهريتان تحكمان الموقف الامريكي من حرب ١٩٦٧: الاولى عدم تكرار الخطأ البريطاني - الفرنسي في حرب ١٩٥٦ حيث ادت مشاركتهما المباشرة لاسرائيل في الحرب الى تدويل الصراع وتحويله الى قضية عالمية صاخبة[١١]. والثانية تقديم ضمانات لاسرائيل بأن الولايات المتحدة لن تتحرك لارجاعها عن الاراضي العربية التي تحتلها الا بشروط امريكية - اسرائيلية مشتركة وقاسية. ودلالة ذلك، من منظور تلك المرحلة من السياسة الامريكية، استخدام الاراضي العربية المحتلة كورقة ضغط لفرض الهيمنة الامريكية على المنطقة، وكان هذا هو السيناريو الذي بدأ فور انتهاء الايام الستة لحرب ١٩٦٧. فقد تم عقاب العرب وبدأ عرض الشروط الامريكية الاسرائيلية التي اتخذت من القرار ٢٤٢ ركيزة، ومن إبعاد الاتحاد السوفياتي عن المنطقة وتصفية المنجزات الاجتماعية والسياسية للحركة القومية العربية هدفاً.

المرحلة الثالثة: وخلال تلك المرحلة، التي امتدت الى بداية ادارة ريغان الاولى، كان هناك خيط رفيع بين الانحياز الامريكي الكامل لاسرائيل وبين الحلف الامريكي - الاسرائيلي بالمعنى الشامل. وهذا الخيط هو الذي أتاح لادارات نيكسون وفورد وكارتر هامشاً من الحركة المستقلة عن الموقف الاسرائيلي لفرض التسوية الامريكية على المنطقة بعد حرب ١٩٧٣. وتضمن هذا الهامش امكانية الضغط المحدود للغاية على اسرائيل باستخدام اسلوب الثواب و«العقاب» القائم على الدعم العسكري والاقتصادي الامريكي لاسرائيل[١٢]. وهذا الخيط هو الذي ظل يفصل ايضاً بين السلام الامريكي والسلام الاسرائيلي.

---

(٩) مايلز كوبلاند، **لعبة الامم**، ترجمة ابراهيم جزيني (بيروت: دار الفتح، ١٩٧١)، ص ٢٩١.

(١٠) انظر مثلاً: Walter Ze'ev Laquer, *The Struggle for the Middle East: The Soviet Union in the Mediterranean, 1958-1968* (London: Routledge and Paul, 1969); Walter Laquer, *The Road to War: The Origin and Aftermath of the Arab-Israeli Conflict, 1967/8* (London: Elek Books, 1969); Edward Said, «United States Policy and the Conflict of Powers in the Middle East,» *Journal of Palestine Studies*, vol. 2, no. 3 (Spring 1973); Ibrahim Abu Lughod, ed., *The Arab-Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective*, Foreward by Malcolm H. Kerr (Evantson, Ill.: Northwestern University Press, 1970), and

ميشيل بازرهار، **التاريخ السري لحرب اسرائيل**، ترجمه عن الفرنسية الهيئة العامة للاستعلامات (القاهرة: [الهيئة]، ١٩٦٩).

(١١) جاك كوبار، **اوراق جديدة عن حرب الايام الستة**، ترجمة نهاد خير (بيروت: دار الفارابي، ١٩٧٣)، ص ٥٨ - ٥٩.

(١٢) انظر بهذا الصدد: مارڤين كالب وبرنارد كالب، **كيسنجر** (بيروت: المطبعة الاهلية، ١٩٧٥)، ص ٢٤٢ - ٢٨٦.

لكن بعد شهور من تولي الرئيس ريغان الادارة الامريكية في كانون الثاني/ يناير ١٩٨١، بدت في الافق ملامح تنذر باتجاه السياسة الامريكية في الشرق الاوسط صوب مرحلة جديدة ـ ثالثة ـ يمكن ان نطلق عليها مرحلة الحلف الامريكي ـ الاسرائيلي. وكان توقيع اتفاق التعاون الاستراتيجي الاول (اتفاق ريغان ـ بيغن) في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨١ تأكيداً لهذا الاتجاه، الذي ظهر بشكل جنيني في حملة ريغان الانتخابية عام ١٩٨٠[١٣]. ويعتبر هذا الاتفاق نقلة كيفية في العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية وضعتها على ابواب حلف حقيقي يشمل التعاون العسكري الشامل لا مجرد التنسيق، بما في ذلك تخزين اسلحة امريكية متقدمة في مستودعات طوارىء داخل اسرائيل ودعم الصناعة العسكرية الاسرائيلية، وزيادة الدعم الاقتصادي والمعونات والهبات والقروض طويلة الاجل لاسرائيل[١٤].

ويتضح حجم هذه النقلة في العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية اذا اخذنا في الاعتبار ان التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة هدف اسرائيلي قديم يعود الى اواخر عام ١٩٥٠، عندما التقى وزير الخارجية الاسرائيلي موشى شاريت مع وزير الدفاع الامريكي جورج مارشال في نيويورك في كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٠، فخلال ذلك اللقاء طرح شاريت اول افكار اسرائيلية عن التعاون الاستراتيجي، واتفق مع وزير الدفاع الامريكي على اعداد مذكرة تفصيلية حول هذا الموضوع. وتضمنت تلك المذكرة عرضاً لموقف اسرائيل الاقتصادي و«الدفاعي» على ضوء الحصار العربي المضروب حولها، وطالبت بمساعدة الولايات المتحدة في حل تلك المشكلة مركزة على ان ما حققه الجيش الاسرائيلي عام ١٩٤٨ في مجال الدفاع عن دولة وُلدت لتوها ضد القوات العربية يمثل مؤشراً جيداً على الخدمة التي تستطيع اسرائيل تقديمها للعالم الحر اذا نمت قدرتها العسكرية وتم تنظيمها[١٥].

وثمة وثيقة اخرى تشير الى محاولات اسرائيل المبكرة للتعاون الاستراتيجي مع امريكا هي رسالة من وزير الخارجية الامريكي دون أتشيسون الى سفارة الولايات المتحدة في اسرائيل في ٢٩ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٥٠. وهي تكشف عن ان الحكومة الاسرائيلية ناشدت وزارتي الخارجية والدفاع الامريكيتين تقديم مساعدات لدعم مصانع الاسلحة الاسرائيلية، وطالبتهما بأن تؤخذ اسرائيل في الحسبان بأكبر سرعة ممكنة في الخطط الغربية للدفاع عن الشرق الادنى عن طريق انتاج السلاح في اسرائيل، مما يساعد على تزويد الدول الحليفة لامريكا ـ كإيران وتركيا واليونان ـ بالسلاح في الوقت المناسب[١٦].

لكن اسرائيل لم تنجح في تحقيق هذا الهدف طيلة المرحلتين الاولى والثانية للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط، لأن التعاون الاستراتيجي يعني تحول الولايات المتحدة الى التحالف الكامل مع اسرائيل. وكانت الظروف الموضوعية في المنطقة وتطورات الصراع فيها تقتضي مرور السياسة الامريكية بمرحلتين قبل الانطلاق نحو مرحلة الحلف مع اسرائيل. وعندما قررت ادارة ريغان تجميد اتفاق التعاون الاستراتيجي الاول، بعد اسبوعين من توقيعه على اثر اقرار الكنيست لمشروع ضم الجولان في ١٤ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨١، كان متوقعاً ان يكون هذا التجميد اجراءاً مؤقتاً لامتصاص الغضب

---

(١٣) عبد المجيد، **انتخابات الرئاسة الامريكية والصراع العربي ـ الاسرائيلي**، ص ٧٥ ـ ٨٢.

(١٤) انظر: **معاريف و دافار** (اسرائيل)، ١/ ١٢/ ١٩٨١، و *Newsweek*, (5 December 1981).

(١٥) **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**، السنة ١١، العدد ١ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٢)، ص ٤٩ ـ ٥٢، وذلك نقلاً عن: **معاريف**، ١١/ ١٢/ ١٩٨١.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٣ ـ ٥٢.

العربي[١٧]. واكد هذه التوقعات سلوك ادارة ريغان تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان الذي بدأ في حزيران/ يونيو ١٩٨٢، ثم رضوخها للرفض الاسرائيلي المهين للمبادرة التي حملت اسم الرئيس الامريكي في اول ايلول/ سبتمبر من العام نفسه، ثم التورط العسكري الامريكي في لبنان الذي نتج عنه تدمير مقر قيادة قوات «المارينز» هناك، ومصرع ٢٨٤ جندياً امريكياً في ٢٤ تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٨٣.

وبالفعل لم تمض عدة شهور حتى كان رئيس الوزراء الاسرائيلي شامير في واشنطن لتوقيع اتفاق تعاون استراتيجي ثانٍ (اتفاق ريغان ـ شامير) في ٢٩ تشرين الاول/ نوفمبر ١٩٨٣. وزاد ذلك الاتفاق عن سابقة تشكيل لجنة عسكرية مشتركة امريكية اسرائيلية من مهامها بحث عقد اتفاق دفاع مشترك بين البلدين يعطي اسرائيل وضعاً يشبه وضع الحلفاء الغربيين في حلف الاطلنطي، وزيادة التعاون بين مخابرات البلدين، والسماح للقوات الامريكية باستخدام القواعد العسكرية الاسرائيلية في اي وقت، ورفع القيود الامريكية المفروضة على بيع اسرائيل منتجاتها العسكرية لدول العالم الثالث، والسماح لها باستخدام المساعدات الامريكية في تطوير الطائرة الاسرائيلية الصنع من طراز «لافي»، واقامة منطقة تجارة حرّة مع اسرائيل، وعدم وضع حدود عليا للمساعدات الامريكية لاسرائيل[١٨]. هذا بخلاف ما تردد عن اتفاقات سرية لم تعلن حتى الآن.

واصبح هذا الاتفاق يجسد نظرية شارون الخاصة بأن اسرائيل يمكن ان تكون حاملة طائرات ثابتة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط باعتبارها ثروة استراتيجية لا بديل عنها لامريكا[١٩].

وهكذا قام ريغان، خلال فترة رئاسته الاولى، بالتمهيد لنقل السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة الى مرحلة ثالثة يتعانق فيها الموقفان الامريكي والاسرائيلي في اطار حلف متكامل الابعاد عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. والمتوقع ان تشهد فترة رئاسته الثانية، التي بدأت في ٢٠ كانون الثاني/ يناير الماضي، استكمال بناء هذا الحلف وتدعيم اركانه. وستكون الترجمة العملية لذلك تحطيم بعض الاساطير المرتبطة بالرهان العربي على دور امريكي في تسوية عادلة للصراع العربي ـ الاسرائيلي، واهمها اسطورة افضلية الرئيس الجمهوري على الرئيس الديمقراطي، واسطورة قدرة رئيس الفترة الثانية على اتخاذ موقف اكثر توازناً في الشرق الاوسط لعدم تقيده بالاعتبارات الانتخابية التي تحكم حركة رئيس الفترة الاولى.

ثانياً: اسطورة الرئيس الجمهوري

في بداية السبعينات بدأت ظاهرة افضلية الرئيس الجمهوري على الرئيس الديمقراطي تشيع في العديد من الاوساط العربية. وقد بنيت تلك الاسطورة على استقراء خاطىء لعدد من المواقف الامريكية، اهمها المقارنة بين موقفي الرئيس الجمهوري دوايت ايزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وموقف الرئيس الديمقراطي ليندون جونسون من العدوان الاسرائيلي على العرب عام ١٩٦٧. وهي مقارنة

---

(١٧) وحيد عبد المجيد، «قصة التعاون الاستراتيجي الامريكي الاسرائيلي،» **الشرق الاوسط** (لندن)، ٢٨/ ١٢/ ١٩٨١.

(١٨) هذه العناصر هي ما اتفقت عليه جميع وسائل الاعلام الامريكية والاسرائيلية حيث تم استبعاد العناصر غير المتفق عليها.

(١٩) وردت هذه النظرة في مقال شهير لأرييل شارون على اربع حلقات في: **معاريف**، ايلول/ سبتمبر ١٩٨١.

تقتطع لحظة من لحظات تطور السياسة الامريكية في الشرق الاوسط، وتعزلها عن سياقها العام، وهي لحظة معارضة ايزنهاور لاستخدام القوة العسكرية واصراره على سحب القوات الاسرائيلية خلف خطوط هدنة ١٩٤٩. وهذا التقويم لموقف ايزنهاور يتجاهل الاطار العام لسياسته الشرق اوسطية. فقد دخل ايزنهاور الى البيت الابيض بعد ستة شهور من قيام ثورة ١٩٥٢ في مصر. وكان في حاجة الى بعض الوقت للتعرف على حدود التغير الذي حدث في الوضع المصري بعد الثورة وللتخطيط لاستيعابه امريكياً. وكانت احدى نتائج هذه السياسة شهر عسل قصير بين ادارة ايزنهاور والضباط الشباب في مصر استمرت حوالى عامين، وخلالها قام ايزنهاور بدور مهم في عملية المفاوضات المصرية ـ البريطانية بشأن مسألتي السودان والقاعدة البريطانية في السويس.

لكن تصدي عبد الناصر لسياسة الاحلاف في المنطقة كان بداية النهاية لشهر العسل القصير المصري ـ الامريكي. فبدأ مسلسل الضغط على مصر بسحب عرض تمويل البنك الدولي لمشروع السد العالي المصري عام ١٩٥٥. وجاء رد عبد الناصر عليها بصفقة الاسلحة التشيكية التي دقت ناقوس الخطر داخل البيت الابيض(٢٠). ومع ذلك ظل ايزنهاور يحاول تدارك الموقف مع مصر، فوجه معظم ردود الفعل الامريكية الغاضبة نحو موسكو. واستمر الرهان الامريكي على امكانية جر مصر الى حلف بغداد الذي دخلته واشنطن كعضو مراقب. وكان من ضرورات هذا الرهان استمرار سياسة عدم التورط الظاهر مع اسرائيل ضد العرب. وفي هذا الاطار وحده يمكن فهم موقف ايزنهاور المتوازن من العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٥٦. كان هذا العدوان في بداية اسبوع انتخابات الرئاسة الامريكية التي اعيد فيها انتخاب ايزنهاور لولاية ثانية، ووقتها ادرك ايزنهاور مدى التورط الذي وقع فيه حلفاؤه الغربيون على نحو يهدد مخططه الخاص بسياسة الاحلاف في الشرق الاوسط. ولذلك عارض ذلك العدوان وتقدم بمشروع قرار الى الجمعية العامة وافقت عليه في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٦ يطلب انسحاب القوات الاسرائيلية الى خلف خطوط هدنة ١٩٤٩(٢١).

لكن لم يكد ايزنهاور يبدأ فترة ادارته الثانية حتى قدم مشروعه المعروف باسمه، والذي رفضته معظم الاقطار العربية بعد ان قال عنه الرئيس عبد الناصر: «ما مشروع ايزنهاور في جوهره الا حلف عسكري».

ورغم ذلك غدا ايزنهاور، في كثير من التقديرات العربية، نموذجاً للرئيس الامريكي المعتدل بالمقارنة مع ليندون جونسون. وهذا التبسيط الشديد في تقويم ادوار الرؤساء الامريكيين في الصراع العربي ـ الاسرائيلي يرجع الى عدم التمييز بين مرحلتي السياسة الشرق اوسطية للولايات المتحدة في الفترتين.

وقد وجدت اسطورة افضلية الرئيس الجمهوري على الرئيس الديمقراطي زخماً جديداً بتولي نيكسون الادارة الامريكية في كانون الثاني/ يناير ١٩٦٩، وابدائه نوعاً من الاهتمام بمشكلة الشرق الاوسط. ورغم ان هذا الاهتمام لم يتمخض سوى عن مشروع روجرز الخالي من اي انصاف للعرب، ظلت اسطورة افضلية الرئيس الجمهوري رائجة. كما انها لم تتأثر كثيراً بموقف نيكسون الذي القى بالثقل الامريكي كله وراء اسرائيل في حرب ١٩٧٣، حتى بدأت تتحطم على يدي الرئيس الجمهوري الاخير ريغان.

---

(٢٠) Herman Finer, *Dulles over Suez: The Theory and Practice of his Diplomacy* (Chicago: Quadrangle, 1964).

(٢١) لمزيد من التفاصيل، انظر: F. Hincoln and P. Bloomfield, *The United Nations and U.S. Foreign Policy* (Boston: Little, Brown and Company, 1960), pp. 140-145.

ثالثاً: اسطورة رئيس الفترة الثانية

وهي تتلخص في ان الرئيس الامريكي يصبح اكثر توازناً في سياسته الشرق اوسطية خلال فترة رئاسته الثانية! لماذا؟ يقال ان فترة الولاية الثانية هي الاخيرة بحكم دستور الولايات المتحدة. وبالتالي يصبح الرئيس الامريكي خلالها اقل خضوعاً للابتزاز الذي يمارسه عليه «اللوبي الصهيوني» من خلال الاصوات اليهودية التي يحتاجها رئيس الفترة الاولى في الانتخابات التالية.

وقد بنيت تلك الاسطورة على الدور اليهودي الفعال في الانتخابات الامريكية[٢٢] منذ انتخابات تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٨ التي خاضها الرئيس الديمقراطي هاري ترومان ضد المرشح الجمهوري ديوي. والطريف ان اساسها يكمن ايضاً في موقف ايزنهاور من العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦. ولذلك يعيبها كل ما يعيب الاسطورة السابقة. والطريف ايضاً ان معتنقي تلك الاسطورة تجنبوا محاولة تطبيقها على ادارة نيكسون الثانية، التي بدأت في كانون الثاني/ يناير ١٩٧٣ ولم تكتمل. فنيكسون هو الذي سعى الى استرخاء عسكري في الشرق الاوسط في الشهور الاولى من ادارته الثانية، وعندما فاجأته حرب تشرين الاول/ اكتوبر ١٩٧٣ والانجاز العربي فيها سعى الى تحطيمه عسكرياً بتكثيف الدعم الامريكي لاسرائيل كماً ونوعاً، وبشكل غير مسبوق وصل الى حد اعلان حالة التأهب النووي في القواعد الامريكية. ولما توقفت الحرب عمل، بواسطة وزير خارجيته كيسنجر، لاحتواء الانجاز العربي وامتصاص نتائجه من خلال دبلوماسية الخطوة ـ خطوة التي ادت الى اجهاض ذلك الانجاز وتحطيم التضامن السياسي العربي.

رابعاً: وهم الحل الامريكي

ولأن رونالد ريغان رئيس جمهوري ويحكم لفترة ثانية، سيكون صاحب الفضل في تحطيم ما بقي من هاتين الاسطورتين، وبالتالي تبديد الوهم العربي في الرهان على الدور الامريكي في تسوية عادلة. فبمقتضى الحلف الامريكي الاسرائيلي الجديد، الذي ستكرسه ادارة ريغان الثانية، سينحصر الدور الامريكي في دعم مفهوم السلام الاسرائيلي الهادف الى احد بديلين:

ـ تسوية على نمط كامب ديفيد مع كل قطر عربي (لبنان والاردن بالذات) على حدة.

ـ استمرار الوضع الراهن مع التوصل الى تسوية ما في لبنان تجنب الاسرائيليين النزيف الذي تسببه لهم المقاومة الوطنية المتصاعدة في الجنوب اللبناني. وهذا الاستمرار يعني مزيداً من الاستيطان والتهويد للاراضي العربية المحتلة. وتشير وثيقة صادرة عن دائرة الاستيطان بالوكالة اليهودية مؤخراً الى ضرورة اتجاه حركة التوسع الاسرائيلي نحو «الداخل» لا صوب «الخارج» في السنوات المقبلة[٢٣].

---

(٢٢) حول حقيقة الدور اليهودي في الانتخابات الامريكية، انظر: ستيفن د. ايزاكس، **اليهود والسياسة الامريكية** (بيروت: دار الاتحاد، ١٩٧٦).

(٢٣) *Jerusalem Post*, 1/ 11/ 1984.

وعلى ضوء تلك الوثيقة لا نستبعد ان تتحول دعوة الارهابي كاهانا الخاصة بطرد العرب من اسرائيل الى سياسة رسمية او شبه رسمية في غضون اعوام قليلة، تماماً كما حدث بالنسبة لدعوة حركة «غوش امونيم» الاستيطانية التي لقيت في البداية تحفظاً رسمياً اسرائيلياً، ثم ما لبثت ان تحولت الى سياسة ينفذها شارون.

ويعني ذلك تركيز الجهود على تفريغ الاراضي المحتلة من اهلها العرب واحلال مستوطنين يهود محلهم، قبل التفكير في احتلال اراضٍ جديدة. فإذا اخذت الحكومة الاسرائيلية، بهذا السيناريو، فمن المرجح ان يجنّب السياسة الامريكية، في مرحلتها الجديدة، مخاطر تدهور علاقاتها مع الاقطار العربية الصديقة. فلن تكون الادارة الامريكية، في هذه الحالة، مضطرة لدعم عدوان اسرائيلي جديد. وسيتوقف دورها على معاونة اسرائيل، بوسائل غير مباشرة في الغالب، لتنفيذ خطتها الهادفة الى تجميد عملية التسوية انتظاراً لمزيد من الانقسام العربي الذي يهيء المناخ لمزيد من التنازلات العربية، ومن ثم لفرض السلام الاسرائيلي على المنطقة. فالحلف الامريكي ـ الاسرائيلي لا يعني، في الظروف الراهنة، استخدام دبلوماسية «الكاوبوي»(٢٤) الريغانية في الشرق الاوسط لمصلحة اسرائيل. كما انه لا يعني بالضرورة تطابقاً معلناً بين الموقفين الامريكي والاسرائيلي. من المتوقع ان تكون هناك تنويعات في بعض المواقف المعلنة، كأن ترفض الولايات المتحدة موقفاً اسرائيلياً معيناً، ولكن بصورة لا تؤثر على الواقع الذي يجري تغييره وفقاً للموقف الاسرائيلي نفسه ومثال ذلك رفض ادارة ريغان اعتبار القدس عاصمة لاسرائيل، دون اي تحرك يؤثر على سياسة الامر الواقع التي فرضتها اسرائيل في القدس المحتلة.

ولكل ذلك يبدو اهتمام بعض الدوائر العربية بتنشيط جهود التسوية السلمية مضيعة للوقت والجهد. وتجدر الاشارة هنا الى الدراسة التي اعدتها رابطة الخريجين العرب الامريكية عن «استراتيجية عربية بديلة في التعامل مع امريكا»(٢٥). فقد اعترفت الدراسة صراحة بأن الادارة الامريكية لن تستجيب في المستقبل المنظور لأية مواقف توفيقية عربية. وقالت بحصر اللفظ: (ليس هناك سوى امكانية ضئيلة جداً للتفاوض على اساس مبادرة ريغان، او على اساس تنازل عربي يوفق بين المبادرة وخطة فاس، الا اذا كان لدى الجانب العربي استعداد للقبول بشروط اسرائيل فيما يتعلق بالحكم الذاتي للفلسطينيين ضمن اطار كامب ديفيد)!!

فالواقع ان طريق الدبلوماسية العربية الى واشنطن بات مغلقاً بضبّة الحلف الامريكي ـ الاسرائيلي الجديد اكثر من اي وقت مضى. وأُغلقت معه آذان الاسرائيليين والامريكيين عن الاستماع لمبادرات السلام العربية المتعددة: ومهما اجهد العرب انفسهم في الاتصالات الدبلوماسية وصياغة المبادرات والمشروعات السلمية، سيصلون، لا مناص، للقناعة بأفضلية توجه هذا الجهد لدعم القدرة العسكرية العربية وتوحيدها ما امكن، بغية تعديل ميزان القوى المختل لصالح عدوهم. وعندئذٍ فقط يمكن اختراق جدران الحلف الامريكي ـ الاسرائيلي. وذلكم هو الخيار الوحيد امام العرب في عهد ادارة ريغان الثالثة. عهد تثبيت المرحلة الثالثة للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط □

---

(٢٤) يقصد بها دبلوماسية القوة والتهديد العسكري. وينسب هذا المصطلح الى نوع من الافلام السينمائية الامريكية المعروفة التي يشهر فيها رجل «الكاوبوي» مسدسه لحسم اي نزاع لمصلحته على الفور. وكان ريغان يعمل في هذا النوع من الافلام على الشاشة قبل احترافه العمل السياسي.

(٢٥) اجرى تلك الدراسة ثلاثة من ابرز المختصين بالشؤون العربية في الولايات المتحدة: د. سميح فرسون، د. يوحنا قبطان، وداني ريتشارد، وثلاثتهم من العرب الامريكيين. وقد اجريت الدراسة للاجابة على سؤال: كيف يمكن التوفيق بين موقف الادارة الامريكية وموقف دول الجامعة العربية،كما تم التعبير عنهما في مبادرة ريغان ومشروع فاس، للتوصل الى استراتيجية عربية بديلة في التعامل مع امريكا؟ وقد نشرتها وكالة الصحافة العربية (Pan Arab Press) في واشنطن، ونقلتها عنها عدة صحف عربية.